المحاضرة (9)

الفصحى واللهجة: تطبيقات في التطور الدلالي

من المقطوع به أن اللّغة لا تستمر على حال واحدة، فهي عرضة للتّغيّر والتبدّل، سواء في مجال الألفاظ، أم في مجال المعاني والدّلالات، ويظهر ذلك التطور واضحا في اللهجات التي تنتمي إلى تلك اللغة.

وقد تحدثنا في المحاضرة السابقة عن التطور والتغير الصوتي استنادا إلى اللهجة المحلية، وهي لهجة وادي سوف، وفي هذه المحاضرة سنتناول التطور الدلالي، وسنطبقه على اللهجة ذاتها.

ويشمل التطور الدلالي:

1-التخصيص الدلالي:

ويسمى التضييق الدلالي أو تضييق المعنى، ويراد به نقل اللفظ من الدلالة على معنى عام إلى معنى خاص. ومثال ذلك:

أ-كلمة الدَّسَّة: وتعني في اللهجة: ذلك اللون البنّي الذي ينطبع على الوجه، فيصيب الخدين أو الجبين، فيأخذ الوجه في الأماكن المصابة لونا داكنا.

والفعل (دسّ) في العربية يعني: أخفى، أي دسّ الشيء تحت الشيء، وهو الإخفاء، ومنه قــول الله تعالى: ﴿ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ [النحل، 59]، أي: يدفنه[1]، ومــن ذلك قول العرب عن البعير أنه مدسوس، إذا كان به شيء خفيف من الجرب، فإذا طُلي ذلك الموضع بالهِناء (القطران)، قيل: دُسّ، فهو مدسوس[2].

وهكذا فإن العرب تعتبر الدّسّة إخفاء شيء تحت شيء، ومن ذلك الطلاء من القطران الذي يُطلى به البعير طليا خفيفا ليُشفى من إصابته.

---

[1]- تهذيب اللغة، 12/ 197.

[2]- لسان العرب، 6/ 83.

وإذا نظرنا إلى ما يسمى (الدّسّة) في اللهجة، فإننا نجدها طبقة بنّية تصيب الوجه، فيأخذ لونا داكنا، أي كأن طبقة دُسّت تحت طبقة، مما يبين أن استعمالها في اللهجة صار من التخصيص الدلالي والتضييق المعنوي، بحيث إذا ذكر لفظ الدسّة، صار يدل على هذا المعنى، بدل معناه الأصلي، وهو الإخفاء، أو إخفاء شيء تحت شيء بشكل عام.

ب– فعل الأمر (**اِزْرِب**): يدل في اللهجة على الحركة والسرعة في المشي، وهم يقولون للذي يريدونه أن يسرع: ازْرِب، وفلان زرَبْ، وهم زِرْبُوا، وعَلاَشْ تِزْرِب؟ وهكذا...

والعرب تطلق فعل زرَب على الماء إذا سال؛ قال الأزهري: "زرب الماء وسرب: إذا سال"[1]، كما تطلقه على الحركة والمشي، فتقول: انزرَبَت الغنم، إذا دخلت الزريبة[2]، فكل شيء تحرّك في الأرض أو انبسط فقد زرَب، ولذلك قيل لِما يُبسط في الأرض زَرْبِيّة[3].

وهكذا، فإن لفظ الفعل (زرب) يدل على الحركة والسير، ولكنه في اللهجة مخصص للسير السريع، مما يدل على أن هناك تخصيصا دلاليا حدث في هذا الفعل.

ج– كلمة (**الحشَنْ**): تدل في العربية على تغير الشيء بما يتعلق به من درَن[4]، أي أنّ كل شيء ظهر فيه الوسخ فهو (محشّن)، والعرب تقول: أحشَن فلان السِّقاءَ، إذا أكثر استعماله، بحقن اللبن فيه، ولم يتعهّده بالغسل، ولا بما ينظفه من الوضر والدرن؛ فأرْوَح وتغيـــر باطنه ولزق به وسخه[5].

وهكذا فالتحشّن: يدل على عموم الوسَخ[6]، غير أن اللهجة ضيقت هذا المعنى، فصار الحشن لا يدل إلا على الوسخ الظاهر في جسم الإنسان.

---

[1] –تهذيب اللغة، 137/13.

[2] –المعجم الوسيط، 391/1.

[3] – تهذيب اللغة، 137/13.

[4] –معجم مقاييس اللغة، 2/ 64.

[5] –تاج العروس، 34/ 432.

[6] –لسان العرب، 13/ 119.

2- التّوسع الدلالي:

وذلك بأن تحمل الكلمة دلالة، جديدة دون أن تتخلّى عن دلالتها الأصلية، فتصبح للكلمة دلالة أعم من معناها الأول.

ومثال ذلك:

أ-كلمة (ورَد): وهي تطلق في العربية على الموافاة إلى الشيء[1]، وصارت لها دلالة مشهورة بورود الماء، وفي القرآن الكريم: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص، 23]، وورود الماء معناه بلَغَه، لا أنه دخل فيه[2].

وقد توسعت دلالة الكلمة، فصارت تشمل الأخذ منه، فحين يقولون في اللهجة: اورِدْ الماء، فهم يعنون: ائْت بشيء منه، وهذا توسع في الدلالة، ثم توسعت دلالة الكلمة في اللهجة أكثر من ذلك، فصارت تشمل معنى الكفاية؛ فيقال للشيء حين يقسّم على مجموعة من الناس: هل ورَد؟ أي هل عمّ الجميع وكفاهم؟ فإن لم يعمّ ولم يكفِ، يقولون: ما وردْشِي، أي: لم يكفِ.

ب-كلمة (ميعاد):

تدل كلمة (ميعاد) في العربية على وقت الوعد وموضعه[3]، ويقولون: وافيته في الميعاد[4]، أي أتيت إليه في المكان والوقت المتفق عليهما. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ [الأنفال، 42]. قال ابن كثير:"﴿ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾ أي: أنتم والمشركون إلى مكان، ﴿لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾"[5]، وقال ابن عاشور: "أي في وقت ما تواعدتم عليه"[6].

---

[1] - مقاييس اللغة 6/ 105.

[2] - تفسير القرطبي 13/ 267.

[3] - لسان العرب، 3/ 462.

[4] - أساس البلاغة، 2/ 347.

[5] - تفسير ابن كثير، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط1، 1419هـ، 4/ 58.

[6] - التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس،1997م ، 10/ 19.

أما اللهجة فتستعمل الميعاد بهذا المعنى، ولكنها تتوسع فيه، فالبعض لا يستعمل كلمة الميعاد للدلالة على وقت اللقاء ومكانه فقط، ولكنه يستعملها للدلالة على الكلام والحوار، فلما يقولون: "دايرين ميعاد"، فهم يعنون بذلك: أنهم يتحدثون، وقد اشتقوا من هذه الكلمة فعلا، فقالوا: فلان: يميعد، وهم يميعدوا، أي يتحدثون.

وهكذا فقد توسع المعنى لهجيّا في هذه الكلمة من الدلالة على المكان إلى الدلالة على ما يحدث فيه من كلام.

4-الانحراف الدلالي:

وهو انزياح يحدث في دلالة بعض الألفاظ، فينزاح المعنى من الدلالة الأصلية إلى دلالة أخرى، وقد سماه الدكتور إبراهيم أنيس: تغير مجال الاستعمال، وهو ما يعرف بالمجاز[1]، والمجاز يلعب دورا مهما في إنتاج العديد من دلالات المفردات في اللّهجة، وهو سمة بارزة من سمات التطوّر الدّلالي، وهذا الانحراف الدلالي يشمل أنواعا عديدة، نكتفي ببعضها:

أ-تغير الدلالة من المحسوس إلى المجرد:

وهو انتقال من المجال الحسي إلى مجال المفهومات الذهنية المجردة، وهذا الانتقال يتم تدريجيا، بحيث قد تظل الدلالتان تُستعملان معا، و يميز بينهما السياق، وقد تختفي الدلالة الحسية، وينساها الناس تدريجيا، ويتمسكون بالدلالة المجردة.

وفي اللهجة أمثلة كثيرة على ذلك، منها:

1-كلمة (الْبَوْ): وتدل في اللهجة على اللاّشيء، أو على الأمر غير المجدي، فحين يقال: فلان جِي علْبَوْ، أي: جاء دون أن يحصّل أي شيء.

وأصل البَوْ: هو معنى حسي حقيقي يتمثل في جلد الحُوار (الجمل الصغير) الذي يُحشى ويقدَّم للناقة التي مات ولدها فتعطف عليه، ظنا منها أنه ولدها، فتدرّ الحليب، وهو نوع من الخداع، فالناقة تحسبه ولدها، وهو (بَوْ).

[1]- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص160.

وهذا المعنى موجود عند العرب لهذا اللفظ؛ فالبَوْ: الحُوار، وقيل: جلدُه يُحشى تبنا أو ثماما أو حشيشا، لتعطف عليه الناقة إذا مات ولدها، ثم يقرّب إليها لترأَمه فتدرّ عليه[1]، قال الشاعر:

فَمَا أُمُّ بَوٍّ هالكٍ بتَنُوفَةٍ[2] * إِذَا ذَكَرَتْه آخِرَ الليلِ حَنَّتِ[3]

وهكذا، فإن المعنى الأصلي هو الحوار أو جلده، وهو معنى محسوس، والمعنى في اللهجة يشكل انتقالا من المحسوس إلى المجرد، فحين تقول هذا الشيء بوْ، فهذا يعني أنه لا شيء، أو لا طائل من ورائه.

2–الفعل (دَعَكَ): ويدل هذا الفعل في العربية على الدّلْك الشديد؛ يقال: دعكتُ الأديم أدعكُه دعكا، إذا دلكتـُه[4]، ودعكَه في التراب إذا مرّغه[5]، ودعَكتُ الثوب باللبْس، إذا ليّنته، ودعكت الخصم دعكاً، ومعكتُه مَعكاً، إذا ذلَّلتَه[6]، وتداعك القوم، إذا اشتدت خصومتهم[7].

أما في اللهجة، فيدل على المعنى السابق، وهو الدّلك القوي، أو على إصابة مادية، فإذا ضُرب شخص، يقال: جاته دَعْكَة، وهذه دلالة حسّية، وهناك دلالة معنوية ذهنية مجردة، تطورت عن الدلالة الأولى، وهي: الصدمة؛ فيقال لمن صُدِم بسماع خبر سيّء: جاته دَعْكَة، وهو من المجاز.

3–**كلمة (سامط)**: تعني في اللهجة الإنسان الذي تغير طبعه، فصار ثقيلا أو غير محتمل.

---

[1]– لسان العرب، 14/ 100.

[2]– التنوفة: الأرض الواسعة البعيدة ما بين الأطراف.

[3]– المحكم والمحيط الأعظم، 10/ 555.

[4]– جمهرة اللغة، 2/ 662.

[5]– تاج العروس، 27/ 148.

[6]– تهذيب اللغة، 197/1.

[7]– القاموس المحيط، ص939.

وهذا المعنى موجود عند العرب؛ فهم يقولون عن اللبن إنه سامط، إذا نشَّمت فيه الحموضــة[1]، أي: ابتدأت... قال ابن سيده في المخصص: "سَمَط اللبن، يسمُط سمْطا، وهو أوّل تغَيُّره"[2].

ويبدو أنه حدث تطور في دلالة كلمة (سامط) فانتقل المعنى من دلالة محسوسة هي تغير طعم اللبن إلى الدلالة على تغير الطبع، وهي دلالة مجردة، فصار الشخص الثقيل فاسد الطبع يسمى (سامطْ).

4-كلمة (النَّدْهَة): وهي تُستعمل في اللهجة للدلالة على المبادرة إلى فعل الخير، فحين يقال: فلان مُولَى ندهة، أو صاحب ندهة، يعني أنه يقوم مع المحتاج فيساعده، ويقضي حاجته، كلما طُلب منه ذلك.

والندهة في العربية تعني: كثرة المال[3]، فقولهم: مال ذو ندهة، أي: مال كثير[4]، يمكن النفع به، كما قال جميل[5]:

وكَيفَ ولا تُوفِي دِماؤُهُمُ دَمِي * ولا مالُهُم ذُو نَدهةٍ فيَدُونِي[6]

والظاهر أن هناك انزياحا حدث في الدلالة، فانزاح معنى الندهة الأصلي، وهو كثرة المال (وهي دلالة محسوسة) إلى معنى مجرد ينجرّ عنه، وهو مساعدة المحتاج، فانتقل بذلك معنى قولهم: فلان صاحب ندهة من كونه صاحب مال إلى كونه معينا بماله كلّ من يطلب منه ذلك[7].

---

[1]- تاج العروس، 19/ 272.

[2]- المخصص، 1/ 456.

[3]- معجم مقاييس اللغة، 5/ 411.

[4]- لسان العرب، 13/ 548.

[5]- الصحاح، 6/ 2252.

[6]- يَدوني: يقدروا على أَدَاء ديتي.

[7]- ينظر: معجم الفصيح، 206/1.

ب–تغير الدلالة من المجرد إلى المحسوس:

وهذا التغير هو عكس السابق؛ وذلك بأنْ تدل الكلمة على معنى مجرد، ثم تنتقل إلى معنى محسوس، أي مدرَك بالحسّ.

ومثال ذلك:

الفعل (بنّنْ): وهو يدل في اللهجة على عملية تنويم الصبي، فحين يقولون: (بنِّنْ بيه)، أي: ضع يدك على جسده بشكل خفيف ومتتالٍ حتى ينام.

والعرب تقول: أبنَّ بالمكان إذا أقام وتثبّت فيه[1]، وتقول:(بَنَّ) بالمِكانِ (يَبِنُّ): أَقامَ به، كأَبَنَّ، قال الخليل: "الإبنان: اللزوم، يقال: أبنّت السحابة، إذا لزمت، وأبنّ القوم بمحلة، إذا أقاموا"[2].

وقد حصل في اللهجة تغير في دلالة هذا الفعل، فلم يعُد يعني الإقامة والتثبت بالمكان فقط، بل تغيرت دلالته وانتقلت من هذا المعنى المجرد إلى معنى محسوس، وهو تنويم الصبي بواسطة وضع اليد عليه مرات متتالية حتى ينام.

---

[1]- مجمع بحار الأنوار، 220/1.

[2]- معجم مقاييس اللغة، 1/ 191.